مقالة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وإن طال الزمان فستتحقق بشارات رسول الله جميعاً

شكل فتح القسطنطينية على يد السلطان مُحَمَّد بن مراد الثاني نهاية المحاولات الإسلامية التي بدأت منذ عهد الأمويين، واستمرت في الخلافة العباسية، حتى نجح السلطان مُحَمَّد الفاتح، كما أطلق عليه بعد فتحه مدينة القسطنطينية.

إن التاريخ لا يكذب، ووقائع الحق تنجلي وتظهر ولو طال بها الزمان، وصحائف الكاذبين السود ودسائسهم لتحريف الحق تحرقها شمس الحق مهما حجبتها غيوم الباطل.

اليوم في المحنة التي تمر بها الأمة الإسلامية بنكبتها الكبرى المتمثلة بغياب الخلافة، النظام الإسلامي الوحيد الذي يمثل المسلمين باعتبارهم أمة ويرعى شؤونهم ويحفظ دينهم، في هذه المحنة قد تمر علينا لحظات ضعف نستطيل معها الطريق، وتخضع نفوسنا لما تبثه الصحائف السود من تثبيط للهمم وإيهام للأمة بضعفها وتخلي الله عنها.

لكن الذي يقرأ التاريخ بنور القرآن يدرك كذب هؤلاء المثبطين، ويلمس معيّة الله لأمته وعدم تخليه عنها... الذي يقرأ التاريخ جيداً يعرف أن المحن تطول وتطول حتى إذا شارفت النفوس على الهلاك من صبرها جاء الفرج مؤذناً بانبلاج الصبح بعد ظلمات الليل.

نحن وإن طال بنا بلاء الذل وغياب الخلافة زهاء قرن من الزمان، فإننا نزداد ثقة بحتمية عودتها حين نرى كل هذه الهجمات الشرسة التي يشنها الغرب على أمتنا، إننا نثق بأننا أمة حية حين نبصر كيدهم، لأن الميت لا خوف منه، بينما هم في كل ثانية يزداد رعبهم لدرجة تجعلهم يتوحشون في محاربة أي شيء له صلة بالإسلام.

إن طالت بنا المحنة فإننا حين نقرأ تاريخ فتح القدس في عهد الفاروق، ثم تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي بعد أن احتلها الصليبيون عشرات السنين لندرك أن تحريرها مرة أخرى كائن لا محالة وهو إن شاء الله أقرب من طرف أعين اليائسين الظانين بالله ظن السوء.

إن محاولات فتح القسطنطينية التي استمرت قروناً طويلة، تزرع فينا الأمل، الأمل الذي لا يولد من العدم ولا يُستحدث من فراغ بل هو نتيجة حتمية لمفهوم الثقة بالله والإيمان به. أمل بأن رسول الله الذي بشرنا بفتح القسطنطينية عاصمة النصارى الشرقية، وتم فتحها، قد بشرنا بفتح أختها روما عاصمة النصارى الغربية وسنفتحها بإذن الله.

إن النصر صبر ساعة، وإن المستيقنين بنصر الله يدركون أن طول البلاء يعني قرب النصر، وأن شدة المحنة تبشر بقرب زوالها، كالحبل كلما اشتدت عُقَدُه بليت خيوطه وانقطع، ويوقنون أن أصعب الساعات هي آخر ساعات البلاء، فلا تؤثر فيهم مكائد العدو ولا تضعضع عزائمَهم شدةُ الضربات ليقينهم أن صبرهم هو الذي يرفع درجاتهم ويوهن كيد عدوهم.

لو يئست الأمة الإسلامية حين احتل الصليبيون بيت المقدس وحولوا المسجد الأقصى إلى إسطبل لخيولهم، هل تراه كان سيخرج صلاح الدين بعد خمسمائة عام ليحرره؟

لو استطال المسلمون الطريق بعد محاولاتهم العديدة التي باءت بالفشل لفتح القسطنطينية، هل كان سيخرج مُحَمَّد الفاتح ليحقق بشارة رسول الله ﷺ؟

كلا بل هو إيمان الأمة التي تضع بشارات رسول الله نصب أعينها تنير الطريق، وترسم الأمل بالنصر والسنا والرفعة والتمكين.

الإيمان الذي جعل أبا أيوب الأنصاري يستشهد على أسوار القسطنطينية، وجعل شمس الدين آق يزرع في السلطان مُحَمَّد منذ نعومة أظفاره هدف فتح المدينة التي استعصت على المسلمين قروناً، وهو الإيمان ذاته التي دفع أمه لتزيح عنها مشاغل الدنيا ومفاتنها وتحمله فجر كل يوم ليشاهد الأسوار التي ستتحطم على يديه يوماً فما بلغ الواحدة والعشرين إلا وقد حطمها.

هو الإيمان الذي جعل صلاح الدين يوحد مصر والشام ويلم شعث الأمة بعد تناحرها لتجتمع على الغاية العظمى بتحرير قبلتها الأولى، وهو الذي جعل العز بن عبد السلام يصدح بضرورة حرب المغول رغم كل الناعقين في عصره من ضرورة مهادنتهم والخوف منهم، فخرج للأمة قطز وبيبرس لينهيا أكبر قوة في ذاك العصر.

وهو الإيمان ذاته الذي يدفع حملة الدعوة في حزب التحرير والمخلصين من الأمة معهم للعمل والسعي بشكل دؤوب لا يعرف الوهن ولا تلين من الكيد قناتهم، لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الثانية التي بشر بها رسول الله مُحَمَّد ﷺ، لتحرر المسجد الأقصى ثانية وتحقق بشرى رسول الله بفتح روما أخت القسطنطينية.

وبإذن الله ستنجلي الظلمات من فوق بعضها، وستبصر الأمة شمس الخلافة عمّا قريب ويظهر للبشرية نور الإسلام الحق في ظل دولته وتستظل به البشرية جمعاء. ﴿**فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ**﴾.

فنسأل الله أن يثبتنا، ويقر أعيننا بتحقق البشارات الثلاث: إقامة الخلافة وتحرير بيت المقدس وفتح روما. إنه خير من سئل وأكرم من أجاب.

كتبته لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

بيان جمال

#فتح_القسطنطينية

#القسطنطينية